

أزمة الإعلام الديني «المساجد والحسينيات الفضائية»



يعيش «الإعلام الديني» اختلافاً بنينياً عن صناعة الإعلام ذاتها (هيثم الموسوي)

المذاهب وانشغالهم الحديث بالدعوة الاستقطابية مثل نقطة مقتل للمشروع الإسلامي؛ ولم يترك حيزاً كافياً لنشر الفكر المسلم فيما يُعنى ببناء الحضارة الإنسانية على الأرض، فضلاً عن الانطلاق بمشروع بنائها فعلاً.

بالطبع ثمة نماذج وشخصيات فكرية رائدة تبرز بين أونة وأخرى، وترهقها ذات هذه البيئات النمطية رجماً وتثبيطاً. في المشهد العام للتبليغ الديني اليوم؛ ربما لم يتفوق على مستوى الحماسة الدعوية لعنوان الإسلام العريض سوى الدعوة للتحريبات المذهبية التي انبثقت عنه لاحقاً، وقد بات «التبليغ المذهبي» بالفعل المشروع الرئيس الذي يكاد يهيمن على الإعلام الديني.

لعل في هذا مؤشراً على الفجوة الجدية التي يعيشها دعاة اليوم أمام «الأخر الديني»، ما جعلهم ينكفئون (في غالبيتهم وليس كلهم طبعاً) إلى الإعلام الخاص ودعوات الاستقطاب البيني اليائسة؛ وهو ما ترك الساحة الحقيقية مكشوفة أمام المذكري والثقافي المستورد؛ الذي يتمتع بقوة جذب وتأثير عالية.

من هنا يتأتى للمتابع أن يُدرك كيف مُسَخَّ المشروع الدعوي الحضاري للإسلام، وراح يفقد عوامل رواجه وثباته؛ وكيف ضاع قسط واف من أبرع النظريات الفكرية والاجتماعية والسياسية التي حملتها رسالة السماء؛ لتحل مكانها مشاريع الدعوات المذهبية بجدارية غير مُستحقة.

خطاب المساجد والحسينيات الفضائية

لا ريب أن الخطاب يُمثل مادة الإعلام الأولى، وهو ما جعل التخصص المهني للإعلام يصب تركيزاً كبيراً على عملية وقسم «الإعداد»؛ الذي يُعتبر القلب النابض لأي وسيلة إعلامية، ويُحدد معالم خطابها بحنكة ودقة.

باختصار مُباشر: الجمهور المعاصر يحتاج إلى خطاب مُعاصر؛ وهو ما لم توفره وسائل الإعلام الديني بعد؛ ومن ورائها مؤسسات التبليغ الديني المشرفة على مضمونها ورسالتها.

وما يمكن أن نخشاه حقيقة؛ أن جل تلك «المؤسسات» لا يمتلك مقومات إنتاج خطاب كهذا؛ ما يعني أن المجتمع يفتقر تدريجياً عن خطاب قيادته الدينية.

هذه السابقة الخطيرة تعني أن الحبل أو الجليلين اللاحقين، سيشهدان انقلاباً قيمياً نوعياً إن لم يُدرك «التجديديون» واقعهم المتردي بخطاب بديل، حضاري، مُقنع. وبخصوص واقع الإعلام تحديداً؛ لم يذهب

علي عباس *

تكاثر «الإعلام الديني» في الآونة الأخيرة بإطراد لافت؛ بالكاد تجد خطأ أو مرجعية أو قيادة لا تملك فضائية دينية خاصة.

الدين في المبدأ رسالة الله، غير أن هذا لا يعصمه أن يكون أداة تمجيد الأشخاص وتحقيق الغايات والمصالح؛ للأسف هو واقع الطبيعة الإنسانية؛ كل شيء قابل للاستغلال بطريقة سيئة، مهما كان قيمياً ومقدساً.

على امتداد التاريخ الإسلامي لم يعدم «قادة الرأي» وسائل السيطرة على الجمهور؛ بعضهم بنيت صادقة وإيجابية، وآخرون لأهداف شخصية وأجندات سياسية.

يروى التاريخ أن السنيين كانوا الأكثر تحكماً بأدوات الإعلام؛ المنبر، الشعراء، المحافل الدينية، الأماكن المقدسة... وكل ما من شأنه أن يحشد الجمهور ويستقطب انتباهه، وإذاعته.

الحالة الإسلامية ليست بدعاً من تاريخ الديانات، عاشت ازدهاراً كبيراً حين كان الإعلام مُغلِقاً ومحتكراً لدى السلطة السياسية الدينية؛ غير أن فريدة المادة المعرفية التي تمتلكها لا تعصمها اليوم من السقوط في ميدان الإعلام التنافسي، الذي لم تتكبد بعد عناء احترام أدواته المتقدمة.

بين الإعلام الديني والإعلام الطائفي

الإسلام مشروع يعتد الدعوة في نشر قيمه وأفكاره، وثمة مصطلحان شقيقان حكما مقدرات مذهلة من الطاقة الترويجية الإسلامية، ولا يزالان: «التبليغ» و«الهداية». وقد ذهب هذان المصطلحان في الواقع بعد بكثير مما قرر نص الدين نفسه؛ حين أفاد أنه ليس ثمة إكراه في الإلزام بالدين، وأن المشروع الفكري والدعوي يكتفي بتبيين «الرشد» من «الغي»، لا الاستماتة في هاجس الهداية من منظورنا الخاص للحق؛ والذي لو أرادته الإله لقهره عباده على التزامه.

ثمة خلاف بنوي قاس للغاية هنا: ما هو هدف الدين من الدعوة؟

انقسم الإسلاميون حول جوابه؛ بين من يحصرها في «هداية الآخر»، الدعوة لـ«المذهب الحق»، والرد على الشبهات... ومقولات مُشاكلة أخرى.

في حين ارتكزت قلة إلى هدف «نشر المعرفة»، ووضعت مفردة «الاهتداء» في دائرة المسؤولية الشخصية للإنسان، والتي لا ينبغي أن تشكل هاجساً مُرضياً لدى حاملي الدعوة. وواقع الحال كان مُغايراً... إذ أن هوس صقور

وسام اللحام *

لا تطرح مسألة علاقة الحركات التكفيرية مع الآخر المخالف مشكلة على المستوى العقدي. فالآخر هو الكافر الذي يحل دمه وماله وقتاله يتم تسويغه بشكل لا يحتاج إلى عناء فكري كبير. المعضلة تكمن في كيف تنظر الجماعات التكفيرية إلى بعضها البعض. فهي تقوم على الأسس الأيديولوجية ذاتها ولديها المشروع نفسه وتصور واحد للعالم. لذلك تطرح علاقة «داعش» بـ«النصرة» على سبيل المثال مشكلة تتعلق بالشرعية كون الآخر هنا ليس الكافر بل هو الذي يرفض الاقرار بأحقية مزاعم جماعة معينة انطلاقاً من المسلمات نفسها التي تقوم عليها منظومة هذه الأخيرة الفكرية.

فقد أعلن تنظيم «داعش» خلافته وهو بالتالي بات ينظر إلى أبي بكر البغدادي بوصفه الإمام الشرعي الذي تجب طاعته على الجميع. فما هو الإطار النظري الذي يعتمده «داعش» كي يقارب علاقته مع سائر التكفيريين من أمثاله؟

حاول الفقه السني إيجاد حل لهذه المسألة الخطيرة. فأحكام الجهاد تطبق بسهولة

الذي يعيش بطبيعة شغف العلاقة بالدين، ولا يعنيه صواب الأفكار التفصيلية من خطتها.

في هذا الإطار، تفيد القاعدة الإعلامية أننا نخسر صنفين مهمين من الجمهور:

- الشريحة الملتزمة المثقفة؛ التي تعتمد منطق العقل وترفض تجاوزات الخطباء النمطيين.

- الشريحة غير الملتزمة؛ التي سنتلمس نقاط الخلل كافة في هذا الخطاب، وتُصيرهُ سبباً إضافياً للابتعاد من مشروع الدين أكثر فأكثر.

ولعل جانباً من الحل يُمكن أيضاً في محورين رئيسيين:

- تأسيس قواعد لخطاب ديني إعلامي (بالمعنى المهني للإعلام) يتسم بالانضباط العلمي؛ ويحتوي قيم الدعوة الدينية من دون سطحات فردية أو لغة مترهلة.

- تمكين «الدعاة» من تقنيات الشاشة ومهاراتها وقوالب برامجها، بدل انفعال المنبر الذي يُعتمد فيه حصراً على ذوق

القائمون على «الديني» منه اليوم أبعاد من نقل المنبر إلى الشاشة؛ هذه الخطوة التقنية على محدوديتها تراءت لأغلبهم إنجازاً حضارياً عظيماً، وجعلت الكثيرين يعيشون بالفعل نشوة أن العالم الآن بات في قبضة خطابهم؛ وما هي إلا مسألة وقت حتى يُدعن لـ«الحق» الذي يحملون.

لا تقف بساطة الفهم عند حدود الهدر المادي لإمكانات الدين الكبيرة واسمه؛ بل تتعداه إلى نقطة خطيرة للغاية، وغائبة عن وعي أولئك الفاتحين لعقول الأديان والمذاهب المنافسة؛ وهي أن المنبر الإسلامي ذاته يعاني أزماً قاسية، أسطها نمطية الطرح ومحدوديته، وسيطرة الأمزجة والقناعات في قبالة الانضباط العلمي والمعرفي...

وعملية الإطلاق الفضائي له كقبلة تعميم الفشل المنبري على مستويات مؤذية، لم تُدرك تداعياتها الكبيرة بعد.

في المبدأ لا شك أن ثمة جمهوراً ينجذب ويتفاعل مع المادة النمطية في الفضائيات، لكنه ذات جمهور الالتزام النمطي المحدود،

بين «داعش» و«النصرة» قتال أهل الردة والبعثي والمحارب

وأرجلهم. ويأتي هذا الموقف منسجماً مع رفض الأزهر لتكفير «داعش». فشيخ الأزهر بدعوته لتطبيق حد الحرابة يكون قد استبعد ليس فقط اعتبار «داعش» كجماعة مرتدة بل أيضاً كبغاة وأجرى عليهم حكم المحاربين؛ فهم مجرد عصبة أشرار وقطاع طرق.

يختلف الأمر بالنسبة لـ«داعش» الذي يعتبر أن إعلان الخلافة على منهاج النبوة يمنحه الشرعية المطلوبة لفرض سلطته على الجميع. وبما أن فئة «أهل البغي» هي المصطلح الفقهي الأمثل الذي يسمح للتنظيم بقتال البغاة وعدم تكفيرهم في أونة واحدة، تصبح مقارنة الجماعات الأخرى بوصفها

من أهل البغي السبيل الوحيد الذي يسمح لـ«داعش» بالحفاظ على شرعيتها رغم حربها المفتوحة مع العديد من التنظيمات التكفيرية.

النقطة الأساسية التي قام عليها هذا التصنيف هو الخروج عن طاعة الإمام. فبينما يعتبر البغاة من الخارجين الذين يملكون وجهة نظرهم الخاصة حول طبيعة السلطة السياسية ويتبنون تاويلاً ما لمبدأ الشرعية، لا تملك فئة المحاربين أي تاويل بل

يرى «داعش» أن إعلان الخلافة يمنحه الشرعية المطلوبة لفرض سلطته

أعلنوا العصيان على الدولة. قتال المحاربين؛ وهم عصابات اللصوص وقطاع الطرق الذين تنطبق عليهم الآية التالية: «إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا في الأرض» (سورة المائدة، 33).

يساعدنا هذا التصنيف في فهم دعوة شيخ الأزهر الأخيرة أحمد الطيب إلى تطبيق حد الحرابة (بكسر الحاء) بحق عناصر «داعش» أي إلى قتلهم وصلبهم وتقطيع أيديهم

عندما يكون النزاع مع دولة غير إسلامية بحيث يتم الاعتماد على القسمة المشهورة بين دار الحرب (بلاد الكفار) ودار الإسلام لتبيان الحكم الشرعي. لكن القضية تصبح أكثر تعقيداً عندما يندلع النزاع في دار الإسلام نفسه. اختصر الإمام الماوردي الموضوع وأجاب في كتابه المرجعي «الأحكام السلطانية» قائلاً: «وما عدا جهاد المشركين من قتال ينقسم ثلاثة أقسام: قتال أهل الردة، وقتال أهل البغي، وقتال المحاربين».

فقتال المشركين أو الكفار حسب المفهوم الوهابي التقليدي للتكفير أمر بتنا نشاهده يوماً من خلال جرائم «داعش» و«النصرة» وما شاكلهما من التنظيمات الإرهابية. ما يهمنا إذا هو أنواع القتال الباقية التي صنفاها الماوردي على الشكل التالي:

قتال أهل الردة؛ وهم الذين نكروا الإسلام وبدلوا دينهم إلى أي دين آخر وحكمهم يصبح شبيهاً بحكم الكفار بحيث يجوز قتلهم.

قتال أهل البغي؛ وهم جماعة من المسلمين خرجوا على السلطة الشرعية ورفضوا طاعة الإمام. فالبغاة هم بحسب المصطلح الحديث مجموعة من المتمردين الذين